الإخبار والإنشاء في سورة (الطور) دراسة تحليلية

Statement and predication in Sura 'Al Tur':Analytic Study

م.د. علي عباس سلمان الربيعي [1] Dr. ALI ABBAS SALMAN

الملخص

تجسد الخطاب الإنشائي والخبري في سورة الطور على نمطين من أنماط الخطاب الأوّل الخطاب التركيبي الموجه (للمكذبين) جمع بين الخطاب الإنشائي والخبري في أربع لوحات مقدمة الأولى جسّدها في مشهدين الأوّل المشهد الخطابي (القسمي) والأخرى المشهد الخبري (جواب القسم) أما اللوحة الثانية فوردت–هي الأخرى– في مشهدين الأول خطابٌ خبري (أسمي) والأخر: خطاب إنشائي استفهامي، أما اللوحة الثانية: فَجسدها الخطاب الإنشائي الطلبي واللوحة الرابعة تمحورت على وفق الخطاب الإنشائي الشرطي. أما النمط الآخر من الخطاب فجسّده الخطاب الأحادي وكان متوجها للمتقين على لوحتين مقدستين اللوحة الأولى: خطاب خبري (اسمي)انتقل فيه الخطاب من العموم (المتقين) أي عموم القسمين إلى جزئيات الخطاب (الغائب–والمخاطب–والمتكلم) لما لهذا العدول الخطابي من تطرية وإطراب لأسماع المتقين فضلاً على اطمئنانهم للوعد المقدس بدخولهم الجنان، أما اللوحة الأخرى فكانت فعلية: انتقل فيها الخطاب من العموم (الذين آمنوا) أي عموم المؤمنين الى خطاب الغيبة وكأن الأمر الإلهي قد مضى بدخولهم الجنان.

Abstract

Embody news and construction discourse phase in Surat Al-Tor

on according to two types of speech patterns first speech compositional directed (unto) combine structural and news discourse in four plates

١– الكلية التربوية المفتوحة / كربلاء.

http://abu.edu.iq

Introduction first its body in two scenes, first scene rhetorical (Oath) and the other news scene (A section) The second painting came - is the other - in the first two scenes speech expert (named) and the other: structural interrogative speech, while the second painting: embedded requested and structural discourse painting and fourth according to the speech centered on the stipulated structural.

The other style of discourse speech mono and was heading for the cautious on according to two sacred paintings in first painting: a speech expert (named) moved the speech from the House of Commons (the pious) any pan sections to molecules discourse (absent - the listener - and the speaker) to which this reverse rhetorical lubricate and admired listen to pious, as well as the confidence in the promise of the Holy admitted the heavens, and the other was the actual painting: Go where the discourse of the public (who believe) any pan faithful to the letter of backbiting and if the divine command has been admitted heavens.

المقدمة

يُعد تدبَر النص القرآني واحداً من أهمّ التأمّلات الكونية في حياة الإنسان، الأمر الذي جعلني أحاول أن أتأمل بعض النصوص القرآنية، من ذلك "جمالية الخطاب الإنشائي والخبري في سورة الطور" ولعلّ التفاوت في النمط الخطابي لفريقي (المكذبين) و(المتقين) هو السبب الرئيس لهذه الدراسة لاسيّما أن الخطاب الموجه للمكذبين جاء وفق البناء (التركيبي) الانشائي والخبري في حين أن الخطاب الموجه (للمتقين) ورد على وفق البناء ألاحادي والخبري.

من هنا أخذت هذه الدراسة تسويغاً علميًّا للبحث في دلالة ذلك التفاوت الخطابي، فضلاً عن محاولة تأمّل جزئيات البعد الإنشائي لتلك السورة المقدسة. بوصف الخطاب الإنشائي مجسّداً الجانب المتحرّك من اللغة العربيّة، ويُعدّ أبرز مظاهرها التي تعرب عن حيويتها [٢] كما ان هذه الدراسة هي محاولة للوقوف على ماهية الخطاب الخبري في سورة (الطور) وعلّة اشتراكه في البنائين التركيبي والأحادي، لاسيّما أنّ الخطاب الخبري يمثل الجانب القار من اللغة [٣].

و لا تأخذ هذه الدراسة بمبدأ التنظير العام للخطابين إلا بما يأخذ برقاب تأويل النص المقدّس لاسيّما أن دراسات سابقة قد اتسعت لمفهوم الإنشاء والإخبار من ذلك كتاب (الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة) للدكتور خالد ميلاد، و(التداولية عند العلماء العرب) للدكتور مسعود صحراوي دأبت على التنظير لمفهومي الإنشاء والإخبار قديماً وحديثاً.

٢- ظ: خصائص الأسلوب في الشوقيات: د.محمد عبد الهادي الطرابلسي، منشورات: الجامعة التونسية (١٩٨١): ٣٤٩.
٣- ظ: م. ن.

http://abu.edu.iq

ولا يفوتني الإشارة إلى الدراسات القرآنية المتقدّمة في استقصاء تلك الظاهرة ومنها كتب التفسير لاسيّما (كتاب جامع البيان عن تأويل القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) وتفسير (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل) للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، إذ قسم السورة المباركة على وفق تقسيم عفوي يفتقر للمصطلح الجمالي في ست لوحات جمالية أربع منها لها مزية الخطاب الإنشائي الموجه (للمكذّبين) واثنتين جسدّها البناء الخبري في خطاب (المتقين)[٤].

ومن كتب التفسير (مجمع البيان) للطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، إذ عمد المؤلّف إلى تقسيم السورة المباركة إلى أربع لوحات مقدّسة (اثنتان) جسّدت الخطاب الإنشائي الموجّه للمكذّبين بالعذاب الموعود واثنتان يعد خطابهما خبريّا موجها للمتقين[٥]. لكن المفسّر – هو الآخر – لم يمنح ذلك التقسيم أبعاده الجمالية من خلال ذكر عِلل التصنيف.

أما الدراسات المتأخرة المتيسرة منها: كتاب (في ظلال القران) لسيد قطب إذ درس السورة المباركة على وفق مشاهدها الجزئية المقدّسة في رؤى نفسية عميقة التأثير[٦]، فضلاً على عرضه للغة خطاب السورة المقدسة لكنّها على وفق إشارات بعيدة تفتقر – هي الأخرى – للمصطلح المعهود في تلك الدراسة.

وقد اقتضت ضرورة البحث تقسيمه على مقدمة ومبحثين

الأوّل: تناول الخطاب الإلهي التركيبي (الإنشائي والخبري) الموجه للمكذبين، جسّد لخطاب المكذّبين بعذابهم الموعود والآخر: في خطاب المتقين، تلتهما خاتمة لأهم نتائج البحث اذ تجسد في أربع لوحات خطابية مقدسة الأولى: لوحة الخطاب التركيبي، اذ وردت في مشهدين مقدسين المشهد الأول: الخطاب الإنشائي (القسمي) والمشهد الآخر الخطاب الخبري (جواب القسم) أما اللوحة الثانية: فكانت مغايرة في تركيبها الخطابي لسابقتها على وفق مشهدين الأول: الخطاب الخبري (الاسمي) والمشهد الآخر (الخطاب الإنشائي (الاستفهامي) أما اللوحة الثالثة: فجسدها الخطاب الأحادي الإنشائي (الطلبي) واللوحة الرابعة: تجسدت في الخطاب الاحادي الانشائي (الشرطي).

أما المبحث الثاني: فتضمن مخاطبة المتقين على وفق لوحتين إخباريتين أحاديتين مقدستين الأولى: الخطاب الخبري (الاسمي) واللوحة الأخرى: لوحة الخطاب الإخباري (الفعلي).

ومن هنا أخذت تلك الدراسة بشيء من دلالة النص القرآني ولعلها كانت بمستوى طموح القارىء.

٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان، ط٢ (١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م): ٤ /٤١١- ٤١٧؛ مجمع البيان في تفسير القران: أمين الإسلام أبي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) طبع ونشر: دار القارئ ودار الكتاب العربي، ط١ (١٤٣٠-٢٠٠٩م):.

٥- ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ٢٢٦-٢٣٧.

٦- ظ: في ظلال القران: سيد قطب، طبع: دار الشرق، القاهرة- مصر، الطبعة الشرعية السابعة والثلاثون (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م): ٦ / ٣٣٩٠-٣٤٠٢.

http://abu.edu.iq

المبحث الأوّل: دلالة الخطاب التركيبي (الإنشائي والخبري)

توطئة:

لم يعد مفهوم الخطابين (الإنشائي والخبري) بحاجة للتأصيل اللغوي إلا أن ضرورة البحث تدعو إلى ذلك، إذ توحي مفردة (الإنشاء) بضرب من النشوء والارتقاء والتحول من حال إلى حال وأصل ذلك القول (أنشأ) الله خلقه ونشأ وينشأ ونشوءاً، أي أنتقل بحاله في النمو [٧]، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٨] أي خلق خلقاً اخرم مبايناً للخلق الأول لاسيّما أنه خلق أولاً طيناً حتى استقر في النشأة الأخيرة [٩].

من هنا تنبثق دلالة (الإنشاء) من جوانب عدة ليوسم بميسم الحيويّة المتجسّدة في (الحسّ) فضلاً على تعدد دلالته في الاستعمال الجمالي لاسيما أنه الإنشاء لا يدلّ على معنى في ذاته بل يرتبط بنفس المخاطب والمتكلم[١٠] ويعد نسبة لغوية محضة لنشؤ نسبة ثانية [١١].

أما الخبر فله دلالة القطع في اكتناه الأشياء فقولنا: ((خبرتُ بالأمر أي علمته وخبَرْتُ الأمرَ إذا عرفته على حقيقته))[١٢]. والخبر هو العلم بالشيء لأنه طريق من طرق العلم [١٣] وكأن الدلالة القطعية متحققة فيه لاسيما انه يعد كلاماً تاما مفيداً او خطابا تواصليا ولنسبته الكلامية نسبة خارجية في الواقع الخارجي عن اللغة [١٤].

والأصل في القطع الإخباري ما جاء في النص القرآني في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[١٥] وفي ذلك تصوير للقهر والعُلو في الغلبة ووقوعه في كُلِّ ما يصحّ أن يعلم بخبر عنه[١٦]، وهو الكلام التام، أي الكشف والإعلام.

من هنا وسم الخبر بميسم القطع في تحقيق الحدث، وذلك الأمر غير معهود في الصيغة الإنشائية الموسومة بالميسم الاحتمالي في تحقق الحدث، ويتبين ذلك خلال قول ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) من أن:

٧- ظ: لسان العرب: للإمام العلامة أبن منظور (ت ٧١١هـ)، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ط١(١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م):١٤/ ١٣٤ (نشأ).

٨- سورة المؤمنون: ١٢- ١٤.

٩- ظ: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١٨١/٣.

١٠- ظ: كشاف اصطلاحات الفنون:محمد عليّ بن علي التهانوي الحنفي (١١٥٨هـ) وضع حواشيه: احمد حسن بسج طبع نشر: دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان ط٢ (١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م): ٤ /١٦٧.

١١- ظ: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية في التراث اللساني): د.مسعود صحراوي، نشر وطبع: دار الطليعة – بيروت – لبنان، ط١ (٢٠٠٥م): ٦٤.

١٢- لسان العرب:١٢/٤(خبر).

١٣- ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٨/٤.

١٤- ظ: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية في التراث اللساني): ٦٣.

١٥- سورة الأنعام: ١٨.

١٦- ظ: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ١٢/٢؛ مجمع البيان في تفسير القران: ١٨/٤.

http://abu.edu.iq

((الجملة الاسنادية تكون خبرية، وهي التي لها خارج تطابقه أو لا تطابقه، وإنشائية وهي التي لا خارج لها كالطلب وأنواعه)) [١٧].

ويمكن تدبر دلالة الخطابين (الإنشائي والخبري) المتصفين بتعدد الدلالات في احتمالية تحقيق الأحداث في البعد الإنشائي والقطع في تحقيقها في الخطاب الخبري لتحقيق الحدث في الجزاء المرتقب الذي تضمنته سورة الطور.

وقد جاء الخطاب الاستهلالي لتلك السورة المباركة على وفق أسلوب تركيبي (إنشائي وخبري) في نمطين من أنماط الخطاب هما:

الأول:الخطاب التركيبي:

وتجسّده لوحتان جماليتان تمثلت في أربعة مشاهد مقدسة، اللوحة الأُولى: يجسدها مشهدان الأوّل: خطابٌ إنشائي (قسمي) والآخر: خطاب خبري (جواب القسم) أما اللوحة الأخرى: فمشهدها الأوّل:خبري: على وفق بناء جمل أسمية، والمشهد الآخر: خطاب إنشائي (استفهامي).

الآخر:الخطاب الأحادي:

وتجسده لوحتان مقدّستان على وفق بناء إنشائي:

الأول: لوحة الخطاب الطلبي والأخرى:لوحة الخطاب الشرطي.

ولعل ذلك التباين في نمط مخاطبة المكذبين في اليوم الموعود أربك نفوسهم بألوان القلق والاضطراب من فعل العقوبة لاسيّما ((أن للإنشاء نسبة خارجية وهي غير موجودة قبل زمن التلفظ بالملفوظ الإنشائي))[١٨] من جهة والخطاب الخبري له قطع في تحقيق فعل العذاب من جهة أخرى، وذلك الأمر أدعى لحيرة المكذبين

أولا: الخطاب التركيبي:

وتجسده لوحتان خطابيتان على وفق التالي:

اللوحة الأولى: لوحة الخطاب التركيبي (الإنشائي، الخبري).

وقد وردت تلك اللوحة متجسدة في مشهدين مقدسين هما:

المشهد الأوّل: الخطاب الإنشائي (القسمي):

ويجسد ذلك المشهد المقدّس قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۞ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۞ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۞ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۞ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[١٩] يبدو أن الخطاب الإنشائي تمحور بتكرار القسم في القول المقدّس بواقع خمس مرات من مجموع (٦ آيات) استهلالية والموحية بمجهولية ما سيحدث بعده، لاسيما أن للقسم في تلك الآيات ترنيمة تضرب على الحسّ بأعلى درجات الإيقاع (المجهول) فضلا عن أن فاصلته القرآنية أودعت صيغة (مفعول) الموحية – هي الأخرى – بمجهولية شدّة الحدث المرتقب في

١٧- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، ت.ح: د.حامد احمد الطاهر، طبع ونشر: دار الفجر للتراث – القاهرة، ط١ (١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م):٧٠٧.

١٨- ظ: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية في التراث اللساني): ١٧.

١٩- سورة الطور: ١-٦.

http://abu.edu.iq

المفردات المقدسة: ((مَسْطُورٍ، مَنْشُورٍ، مَعْمُورٍ، مَرْفُوعٍ، مَسْجُورٍ)) الموحية هي الأخرى بهول الحدث ومجهوليَّة شدّته، وفي ذلك محاكاةٌ لدلالة الخطاب الإنشائي (القسمي) الموسوم بميسم الشّدّة. فضلا على ما تحمله صيغة (مفعول) من ترنيمة حزائنية تعتمل في نفوس المكذبين.

ولعلّ بناءها للمجهول يأخذ بدلالتين الأولى: ما ذكرناه من هول يقينيّ، والأخرى: الأستخفاف القوم بما أنزل اللهُ على نبيه موسى–عليه السلام–.

ومن هنا يكون بناء تلك الجمل المقدّسَة موحيا بالمجهوليَّة بإبعاده المهولة، وذلك يمنح الأحداث سعةً واشتمالاً فضلاً على ما توحي بها من شدة إيقاع العذاب الموعود.

ثانياً المشهد الآخر: الخطاب الخبري (جواب القسم)

بدأ النص المقدس بهذا الخطاب فق تركيب معلوم البناء لاسيّما أن الخبر يتمتع بدلالة القطع في تحقيق الأحداث في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۞ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۞ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۞ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾[٢٠]، فهذا النص يمنحنا مصداقا لما سيحدث لقرع مسامع المكذّبين بوقائع حسيّة بإيقاع متفاوت بين الشدّة والرّزانة بإحداث الفعل المتجسد في القول المقدس ((واقع. دافع)) الذي ((يلقي في الحس أنه أمرٌ داهم قاصم، ليس منه واق ولا عاصم))[٢١]، وبين الاسترخاء المتجسد في المفردات المقدسة: ((تمور، مورا، تسير، سيرا)) التي تشير الى تباطؤ الحركة الكونية التي تعقب وقوع العذاب المتعذّر دفعه، فضلاً عن ذلك ان دلالة الإيقاع الرزين المتكرّر في قوله تعالى: ((مَوْرًا، سَيْرًا)) لاسيّما أنّ المفردتين تتمتعان بدلالة التباطؤ في تحقيق الفعل المنبثق من تراخي الترنيمة الإيقاعية (فالمور) له دلالة الحركة ذهاباً ومجيئاً متباطئا، من هنا قيل مارت الناقة في سيرها موراً أي ماجت وترددت[٢٢]، أمّا (سيرا) فلها دلالة كثرة الحركة المتباطئة [٢٣].

ويبدو أنّ إيداع الفاصلة القرآنية المقدّسة صوت (الرّاء) المركب من ضربات متعاقبة لها صفة التفخيم[٢٤]، اذ تكررت بواقع ثمان مرات في حشو الآيات وفي نهاية تلك اللوحة المقدّسة يعدّ منفذاً تعبيريّاً مقدّساً منفتحاً على لوحة تركيبية (إنشائية، خبرية) التي لها معالم مهولة توحي بحيرة المكذّبين وهم يتعرضون الى ألوان العذابات ولعلَّ ما يؤيّد ذلك التناوب هو إيقاع الترنيمة ارتفاعا وهبوطاً بفعل الانتقال من الإنشاء إلى الخبر وبالعكس.

من هنا نخلص للقول أن النص المقدّس طالعنا بمشهدين في تلك اللوحة الجماليّة الأوّل جسده هول الموقف فوردت فواصله (عينية) أودعت صيغة مفعول الموسومة بميسم الحزن المنبثق من شدة العذاب. والأخرى (رائية) تضمنت معنى الاسترخاء والتباطُؤ بفعل ما وقع من العذابات التي يعقبها هموم.

٢٠– سورة الطور: ٧–١٠.

٢١– في ظلال القران: ٦/ ٣٣٩٣.

٢٢– ظ: اللسان:١٣/ ٢٢٠ (مور)، و ظ: مجمع البيان: ٩ /٢٢٧.

٢٣– ظ م. ن: ٦ /٤٥٤ (سير).

٢٤– ظ: دراسة الصوت اللغوي: د.احمد مختار عمر، طبع ونشر: عالم الكتب – القاهرة، ط٤ (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م): ٣٩٦؛ الأصوات اللغوية: د.إبراهيم أنيس، نشر: مكتبة الانجلو المصرية (٢٠٠٧م): ٦٦.

http://abu.edu.iq

اللوحة الثانية: لوحة الخطاب التركيبي (الخبري، الإنشائي):

وتتجسد في مشهدين من مشاهد الخطاب القرآني المقدس على وفق التالي:

المشهد الأوّل:الخطاب الخبري (الاسمي):

طالعنا النص المقدس في هذا المشهد بأسلوب الإخبار الاسمي في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۞ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۞ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[٢٥].

أستهل القول المقدّس بالمصدر (ويل) الخبري ليوحي بثبوت ولزومية العذاب الموعود للمكذّبين وفي ذاك ((تفريغ على ما دلت عليه الآيات السابقة من تحقق وقوع العذاب يوم القيامة))[٢٦]، فضلاً على أن الصيغة الاسمية يثبت بها المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدّده شيئاً بعد شيء [٢٧]، ولعل ما يؤكد القطع الخبري تجسيد الآية الثانية على وفق (تسويغ شرعي) لتحقيق العذاب الإلهي في الآية الأولى وكأنّها جواب لسؤال خفي يفرضه السياق المقدّس وتقديرهُ – والله أعلم –: ما بال أولئك القوم يعذّبون أشدّ العذاب؟[٢٨] إذ تجسّد الجواب بصيغة تعليلية في القول المقدّس لأنّ ﴿... هم فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾، وبهذا يتحقق الانتقال الخاطف من الخطاب الخبري إلى الخطاب الإنشائي على وفق رابط خفي يؤخذ بالتأمل العميق.

وبعد ذلك التسويغ الإنشائي يطالعنا النص المقدّس بجزئيات خبرية لها ميسم القطع في تحقيق فعل العذاب في قوله تعالى: ﴿يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ والدُّع الدفع العنيف في تنكيل وجفوة[٢٩]، ثم تنسرب أحداث النص بتحقيق فعل العذاب وثبوته في قوله تعالى: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُوعدون﴾ وكأن تلك النار دخلوها بعينها بفعل تقدم الجار والمجرور (بِهَا) على عامله (تُوعدون) وفي ذلك دلالة للحصر والتخصيص في تحقيق أمر بعينه[٣٠]، فضلاً على أنَّ هذا الأمر أدعى لتحقيق الأخبار به من غيره لارتباطه بآلة العذاب (النار).

من هنا نخلص للقول أنّ هذا المشهد المقدّس تجسّد على وفق أداء خبري قطعي في تحقيق فعل العذاب من خلال استفهام خفي لتسويغ تحقق العذاب، بعد عرض جزئياته الحسيّة المقدّسة في ألفاظ توحي بالزراية والتحقير ((يُدَعُّونَ، دَعًّا، جهنم...)) بوصفها منفذاً تعبيرياً مقدّساً للمشهد المقدّس الآخر.

٢٥- سورة الطور: ١١-١٤.

٢٦- ظ: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، منشورات: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١ (١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م):٩/١٠.

٢٧- ظ:دلائل الأعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، نشر: مطبعة المدني – القاهرة، ط٣(١٤١٣هـ - ١٩٩٢م):١٧٤.

٢٨- ظ: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد لكريم بن الأثير (٦٣٧هـ) دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان، ط١(١٤١٩هـ - ١٩٩٨م): ٢/٦٣، (مفهوم الإيجاز بالحذف).

٢٩- ظ: تفسير البحر المحيط: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بابي حيان الأندلسي الغرناطي، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه: د.عبد الرزاق المهدي، طبع ونشر دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، ط ذ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م):٨/٢٠٦؛ لسان العرب: ٤/ ٣٥٤ (دعع).

٣٠- ظ: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢ / ٢٠ -٢٦.

http://abu.edu.iq

المشهد الثاني: الخطاب الإنشائي (الاستفهامي):

ويُجسده قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۞ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣١].

طالعنا النص المقدّس باستفهام له دلالة الإنكار والتوبيخ، لاسيّما أن المستفهم عنه (السحر) بوصفه عَملا يتقرّب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه[٣٢]، وهو غير متحقق والاستفهام هو الآخر – غير متحقق، فضلا على أن الخطاب الإنشائي ليس لَهُ حقيقة مرجعيّة في الواقع الخارجي فهو نسبة لغوية محضة[٣٣] إلا أنّه متحقق الرد له بفعل الطلب المتكرر في استهلال القول المقدس من قوله تعالى: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾، فكأن التصلية متحققة والصبر غير متحقق بفعل العذاب بدليل نفي الصبر المتجسد في قوله تعالى: ﴿لَا تَصْبِرُوا﴾ فضلاً على تحقق حالة الاستواء بين الصبر وعدمه في القول المقدس:

﴿... سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وكان تأويل الخطاب المقدّس – والله اعلم –: سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أصبرتم أم لم تصبروا إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

ثانياً: لوحة الخطاب الأحادي:

اللوحة الثالثة: لوحة الخطاب الاحادي الطلبي

في النص المقدس لوحة إنشائية جاءت في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۞ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۞ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ۞ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۞ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ۞ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ۞ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ۞ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ۞ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۞ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ۞ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣٤]

استهل النص المقدس بآية كريمة فيها تحد كبير للمعاندين اذ وردت بصيغة الطلب (ذكّر) فضلاً عن ذلك فأنها تعدّ منفذاً تعبيريّاً لسائر جزئيّات تلك اللوحة المقدّسة التي تصدرتها (أمْ) المنقطعة بواقع (١٣) مرة والمتضمنة لمعنى (بل) والاستفهام بـ (الهمزة) الذي يفيد الإخبار[٣٥]، وذاك يتجسد في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ وتقدير القول المقدّس – والله أعلم – بل أيقولون شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُون، وقد تكرر هذا البناء المقدس على وفق التركيب الطلبي التوبيخي في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ من هنا يكون هذا التركيب الطلبي منفذاً تعبيرياً مقدساً لبناء

٣١- سورة الطور: ١٥-١٦.

٣٢- ظ: لسان العرب: ٦ / ١٨٩ (سحر).

٣٣- ظ: التداولية عند العلماء العرب:٦٤.

٣٤- سورة الطور: ٢٩ – ٤٣.

٣٥- ظ: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، نشر: مؤسسة الصادق – طهران – إيران، ط١ (١٣٧٨هـ):١/٦٦، إذ ذهب ابن هشام إلى تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ سورة الطور:٣٩ إلى القول: بل ألهُ البنات ولكم البنون و ظ: الصاحبي: أحمد بن فارس:١٦٦وما بعدها.

http://abu.edu.iq

تركيبي إنشائي يتصف بصفة (الإضراب والتوبيخ الاستفهامي) ويجسّده قوله تعالى:﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وتقدير القول المقدّس – والله أعلم – بل أتَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا...بل أيَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ...

ثم يورد النصّ المقدّس بناء طلبيا بنبرة تحد للمعاندين يتبين في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ثم يزداد الاستخفاف والتوبيخ من المعاندين على وفق تكرار (أم) المنقطعة بواقع (٩ مرات) متصدرة ما تبقى من آيات اللوحة المقدّسة من قوله تعالى:﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تلك الآيات المقدّسة تحكي لنا أعلى درجات الإضراب والاستفهام التوبيخي الخفي في (أم) المنقطعة على وفق تقدير الأقوال المقدّسة – والله أعلم – منها: بل أخُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ بل أخَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.. بل أعِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ... بل أَلَهُمْ سُلَّمٌ...بل أَلَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ.. بل أتَسْأَلُهُمْ أَجْرًا...بل أعِنْدَهُمُ الْغَيْبُ... بل أيُرِيدُونَ كَيْدًا... بل أَلَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

من هنا جمعت تلك اللّوحة المقدّسة بين فني (الطلب التوبيخي) و (الاستفهام الإنكاري) بوصفهما بنائين إنشائيين تجسّدهما أحداث خفية موسومة بميسم (الهول والعذاب) ذلك أنّها وردت في خطاب المعاندين.

اللوحة الرابعة: الخطاب الأحادي (الشرطي):

وتتبين في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ۞ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۞ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٦].

تبدأ الايات الكريمة بأسلوب الشرط بصيغة تحدي للطغاة الجاحدين وهذا مايتضح في معنى الجواب [٣٧] لقولهم:﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾[٣٨]، ويبدو أنّ جملة الإنشاء الشرطية تترجم حال المعاندين من ((أنهم لشّدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا: هذا سحابٌ مركومٌ بعضه فوق بعض يُمطرُنا، ولم يصدّقوا أنّه كسفٌ ساقطٌ للعذاب)) [٣٩].

ثم نلحظ تركيبا طلبيا اخر قوله تعالى:﴿فَذَرْهُم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ وهو موجه الى للرسول الأعظم –ﷺ– الموحي بالتهديد والوعيد لما سيؤول إليه المكذّبون من يوم يصعقون فيه، لاسيّما أنّ هذا الخطاب المقدّس جمع بين أسلوبي (الطلب) المتجسد في مفردة (ذَرْهُمْ) والنفي المتكرر في تراكيب((لَا يُغْنِي، وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ، لَا يَعْلَمُونَ)).

٣٦- سورة الطور: ٤٤-٤٧.
٣٧- ظ: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤١٧.
٣٨- سورة الإسراء:٩٢.
٣٩- ظ: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/٤١٧.

http://abu.edu.iq

ويبدو أن الجمع بين أسلوبي (الطلب والنهي) لَهُ خطاب تبعيضي لاسيّما أنّ لَهُ سمات جزئية جسدها: ((الاحماد والاذمام والثناء والتقريظ، والذم والاستصغار، والعدل والتوبة، والتوبيخ، وسبيل ذلك أن تشبع الكلام فيه، وُمدَّ القولُ حسب ما يقتضيه آثار المكتوب إليه في الإحسان والإساءة، والاجتهاد والتقصير، ليرتاح بذلك قلب المطيع وينبسط أمله، ويرتاع قلب المسيء ويأخذ نفسه بالارتداع)) [٤٠]، فضلاً على أنّ (الأمر والنهي) أقوى الأساليب الإنشائية لتحقيق الأفعال لها[٤١].

من هنا يتجسد الخطاب الإنشائي – في تلك اللوحة المقدسة – على محورين، الأوّل: محورٌ شرطي يحكي تندّر واستخفاف المعاندين بالعذاب الموعود لهم.

أما المحور الآخر: فجسّدهُ الخطاب الطلبي التوجيهي الموسوم بميسم الاحماد والثناء والتقريظ لشخص الرسول الأعظم –صلى الله عليه وآله وسلم– من جهة، والتهديد والوعيد للمكذّبين بعذاب مرتقب من جهة أخرى، فضلا عن ذلك، فأن تمتع لغة الخطاب الإنشائي بالدلالة الاحتمالية في قرب أو بعد الصعق الإلهي الموعود للجاحدين، لاسيّما أن الإنشاء فعلٌ كلامي غير منجز وليس له نسبةُ خارجية في الواقع[٤٢]، من هنا غدا أمرهُ محيّراً، إلا أنّ قداسته القرآنية وسمته بميسم الخطاب القطعي في اجتراح الأحداث، وذلك الأمر أرمض لنفوس المكذبين وقرع مسامعهم في ألوان من الحيرة والتردد بين سوء فعلهم ويومهم الموعود.

المبحث الثاني: الخطاب الأحادي (الخبري)

يتجلى هذا اللون من الخطاب المقدّس الموجه الى المتقين على وفق أداء أحادي خبري في لوحتين مقدّستين الأولى: لوحة الخطاب الاسمي، والأخرى: لوحة الخطاب الفعلي.

اللوحة الأولى: الخطاب الأحادي الخبري (الاسمي):

تجسّدت اللوحة المقدّسة في قوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۞ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[٤٣].

بدأ النصّ المقدّس بـ(إنّ) المؤكدة بلزوم تحقيق الحدث[٤٤]، وأن الآية الكريمة متصفة بالاسمية وتقدير القول المقدّس –والله أعلم– أولئك الْمُتَّقِين فِي جَنَّاتٍ ونعيم...، فضلاً عن ذلك فان إقتران هذا الأسلوب الخبري بالأسلوب الاشتقاقي الموحي –هو الآخر– بتحقيق فعل بشرى المتقين المبين في مفردات أسماء الفاعلين:

٤٠– الصناعتين (الكتابة والشعر): أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٨٢هـ)، تح: علي محمد البجّاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر وطبع: المكتبة العصرّية – بيروت – لبنان، ط١ (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م): ١٤٢.

٤١– ظ: كتاب سيبويه: ١ /١٣٧.

٤٢– ظ: التداولية عند العلماء العرب: ١٦ وما بعدها.

٤٣– سورة الطور: ١٧–٢٠.

٤٤– ظ: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/٥٥.

http://abu.edu.iq

(الْمُتَّقِين، فَاكِهِين، مُتَّكِئِين) وذلك لتمتع اسم الفاعل بالدلالة على الحدث الغابر المعلوم لإسم الفاعل دلالة الحدث الغابر المعلوم[٤٥]، ولعلَّ ما يؤكد ذلك إنّ صيغة (مُتَّكِئِين) توحي بالاسترخاء والدعّة وهتاف بمتاع متحقق[٤٦] ﴿عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ لتحقق فعل الأخبار المقدّس على وفق صيغة الماضي في قوله تعالى:﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾.

من هنا وسم التركيب الطلبي في قوله تعالى:﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالميسم الإخباري لاقترانه بالمتاع الحسّي الهانئ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ ،فضلا على إيماء الأمر الإلهي – هنا- بالإخبار لارتباطه بفعل الخير المضاف للذات الإلهية او ما ينوب عنها من الضمائر في عموم القرآن الكريم[٤٧] وكأن تلذذ المتقين بالجزاء الإلهي أمر مفروغ منه لاسيما ان اللذة تعد حركة نفسية نحو أثر يؤديه الحس بغتة،والحس أما ظاهراً أو باطناً[٤٨]، وذاك الأمر أدعى لاطمئنان واستقرار نفوس المتقين بفعل البشرى الإلهية المتجسدة في الخطاب الإخباري المرتبط بالمطلق المقدس، لاسيّما أنّ للأخبار دلالة القطع في إحداث الفعل[٤٩]، وذاك أنّ الخبر يرجع إلى الحكم بمفهوم لمفهوم[٥٠]، فالجزئيات الإخبارية المقدّسة في تلك اللوحة تماسكت على وفق بناء إخباري (إسنادي)، فالمسند إليه واحد (المتقون) تعددت مسنداته منها: (جنات، نعيم، فاكهين...) فضلاً عن تعدد المسند إليه (بالنيابة) في المفردات المقدسة (كلوا، أشربوا، تعملون) والميم في (زوجناهم).

ويبدو أن الخطاب الإسنادي الخبري يمنحنا لوناً آخر من جمالية الخطاب القرآني متجسداً في العدول من خطاب العموم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جنات وعيون...﴾ أي عموم المتقين إلى خطاب المخصوص المتجسد في خطاب الغائب منهم في مفردات ((فَاكِهِين، إياهم، وقاهم)) ثمّ انتهى النص لخطاب أكثر خصوصية وحضوراً جسدته المفردات المقدّسة: ((كُلُوا،اشْرَبُوا،مُتَّكِئِين)) وكأن هذا الانتقال من خطاب العموم إلى خطاب الخصوص المتدرج من الغائب إلى الحاضر الفعلي كان تطرية واستدراراً لإسماع المتقين وتجديداً لنشاطهم وصيانة لحاضرهم من الملال والضجر[٥١].

٤٥- ظ: مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)،حققه وقدّم له وفهرسه: د.عبد الحميد هنداوي منشورات دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ط١(١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م):٩٧؛ ظ:شرح المفصّل: موفق الدين بن علي بن يعيش النحّوي (ت ٦٤٣هـ) حققه وشرح شواهده: احمد السيّد احمد، راجعه ووضع فهارسه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، نشر وطبع: المكتبة التوفيقية – لقاهرة- مصر(د.ط) (د.ت): ١٠٣/٣؛ ظ: معاني الأبنية: د.فاضل صالح السامرّائي نشر: جامعة بغداد، ط١ (١٤٠١هـ ١٩٨١م):١٧٥-١٧٨.

٤٦- ظ: في ظلال القران: ٣٣٩٦/٦.

٤٧- ظ:البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،نشر وطبع:المكتبة العصرية – بيروت – لبنان (د.ط) (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م): ٤٠/٤،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بيدك الخير انك على كل شيء قدير﴾ سورة آل عمران ٢٦.

٤٨- ظ: الشفاء: ابن سينا تصدير ومراجعة: د.ابراهيم مدكور، ح.ت: د.محمد سليم سالم، ط: المطبعة الأميرية القاهرة (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤ م): ٩٩.

٤٩- ظ: دلائل الإعجاز:١٧٧-١٧٨.

٥٠- ظ: مفتاح العلوم: ٩٧

٥١- ظ: البرهان في علوم القران:١٩٧/٣.

http://abu.edu.iq

من هنا يوحي الخطاب الخبري الاسمي في هذه اللوحة المقدسة بثبوت ولزوم الجزاء الإلهي للمتقين وكأن قلقاً قد اعتور نفوسهم عن قرب أو بعد الجزاء الموعود فجاء الخطاب أسميا لهم ليطمئنهم بثبات الجزاء المقدّس.

وكل ذلك منح الإخبار الاسمي القطعية في تحقق أحداثه فضلاً على لغته الإسنادية الموسومة بميسم الخفة في الخطاب لخفّة أرواح المتقين بفعل السرور المتأتي من البشرى بالجنان وقد ارتبط تفاوت ترنيمة الخطاب بتفاوت شعور المتقين بين قرب أو بعد الجزاء الإلهي المقدس.

اللوحة الثانية: الخطاب الأحادي الخبري (الفعلي):

تجسّدت تلك اللوحة المقدّسة في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۞ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۞ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۞وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾(٥٢)

بدأ النص المقدّس بخطاب إخباري يتصف بالثبوت واللزوم في تحقق الفعل المقدّس لاسيّما في مفردات ((آمَنُوا،إِيمَان، رَهِينٌ...)) فضلاً على ما توحي به مفردات: ((اتَّبَعَتْهُمْ، أَمْدَدْنَاهُمْ، مَكْنُون)) من دلال أما الخطاب الإخباري الفعلي –اللوحة الثانية– فتفاوت من العموم ((الَّذِينَ آمَنُوا...)) أي عموم المؤمنين إلى خطاب الخصوص (الغائب) إلا أنّ الخطاب الخاص اتصف بالاستواءة الوصل غير المنقطع في تعاقب الأحداث.

ولعل متأمل تلك اللوحة المقدّسة يلحظ انتقال الخطاب الإخباري من العموم المتجسّد في قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ أي عموم المؤمنين، إلى خصوصية الخطاب المستوي على وفق لغة الغائب المتجسدة في مفردات ((أتبعتهم، ذريتهم، لهم، ما التناهم، عملهم..)) إلى نهاية اللوحة المقدّسة، وكأن ذلك الاستواء المتجسد في خطاب الغيبة يحكي لنا أمرا إلهيا يتضح في دخول المتقين عالم الجنان فلا حاجة بعد لاضطراب مسامعهم في خطاب متفاوت بين خطاب الحضور والغياب، وكأن اللوحة الإخبارية الفعلية تحكي لنا تنفيذ الأمر الإلهي في تحقيق جزاء المتقين واستوائهم في الجنان بفعل استواء الخطاب على وفق ترنيمة (الغياب) الواحدة. من هنا خفّ الخطاب لخفة جوانح المتقين بالسرور.

ويبدو مما تقدم أنّ الخطاب الإخباري الموجّه (للمتقين) تجسّد على وفق لوحتين مقدّستين الأولى لوحة الخطاب الخبري الاسمي يتفاوت فيها الخطاب من العموم (المتقين)، أي عموم المتقين إلى الخصوص أي خطاب (الغيبة، المخاطب)، وذلك التفاوت في جزئيات الخطاب الخبري ورد لإطراب أسماع المتقين ودفع الملل عن نفوسهم لاسيّما ان الوعد الإلهي – بدخولهم الجنان في تلك اللوحة الاسمية – غير متحقق. أما الخطاب الإخباري الفعلي –اللوحة الثانية– فتفاوت من العموم ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ أي عموم المؤمنين إلى خطاب الخصوص (الغائب) إلا أنّ الخطاب الخاص اتصف بالاستواء.

٥٢– سورة الطور اية ٢١–٢٤.

http://abu.edu.iq

والثبوت على خطاب (الغياب) وكأن الأمر الإلهي قد مضى وتحقق بدخول المؤمنين الجنان، وفي ذاك إيحاء لضمائر الغيبة بالثبوت واللزوم في تحقق الفعل الإخباري المقدّس.

وخلاصة القول لما عرض في جزئيات هذا البحث أن الخطاب الإلهي في سورة الطور تجسّد على وفق نمطين من أنماط الخطاب الأول: خطاب تركيبي (إنشائي وخبري) على وفق أربع لوحات مقدّسة تفاوتت بين القسم وجوابه والشرط وجوابه.

وان هذا التفاوت الخطابي منح الخطاب المقدّس ثقلاً له سمة الاستواء مع ثقل تكذيب المكذبين، فهو أرمض لنفوسهم بالحيرة والاضطراب وفقدان الاطمئنان، بين هول مرتقب يجسّده الخطاب الانشائي وعذاب واقع يجسّده الخطاب الإخباري، واقرع لإسماعهم بألوان العذاب.

أمّا خطاب المتقين فجُسّد بلوحتين مقدّستين الأولى أسمية لها خاصية الثبوت واللزوم في تحقق فعل الجزاء الإلهي لهم ولكن خطابها الإخباري ورد متفاوتاً مع الخطاب (العام) (المتقين) أي عموم المتقين إلى خطاب الخصوص: (فاكهين – كلوا – أشربوا) إلاّ أن الخطاب الخاص – هو الآخر- جسده التفاوت بين (المخاطب والغائب) بفعل تفاوت مشاعر المتقين بقرب او بعد الجزاء الإلهي لهم، من هنا كان الخطاب خطاباً اسميا لثبوت تحقق الفعل الإلهي.

أمّا اللوحة الأخرى فجسّدها الخطاب الفعلي المتفاوت – هو الآخر- بين العام (الَّذِينَ آمَنُوا) أي عموم المؤمنين وخطاب الخاص المستوي (الغائب) المتجسد في ((أتبعتهم، بهم...)) وهذا الاستواء في خصوص الخطاب الفعلي يدلنا على تحقق فعل الجزاء الإلهي ومضيه لهم.

الخلاصة

تجسد الخطاب الإنشائي والخبري في سورة الطور على نمطين من أنماط الخطاب الأوّل الخطاب التركيبي الموجه (للمكذبين) جمع بين الخطاب الإنشائي والخبري في أربع لوحات مقدمة الأولى جسّدها في مشهدين الأوّل المشهد الخطابي (القسمي) والأخرى المشهد الخبري (جواب القسم) أما اللوحة الثانية فوردت – هي الأخرى – في مشهدين الأول خطابٌ خبري (أسمي) والأخر: خطاب إنشائي استفهامي، أما اللوحة الثانية: فَجسّدها الخطاب الإنشائي الطلبي واللوحة الرابعة تمحورت على وفق الخطاب الإنشائي الشرطي.

أما النمط الآخر من الخطاب فجسّده الخطاب الأحادي وكان متوجها للمتقين على لوحتين مقدستين اللوحة الأولى: خطاب خبري (اسمي) انتقل فيه الخطاب من العموم (المتقين) أي عموم القسمين إلى جزئيات الخطاب (الغائب – والمخاطب – والمتكلم) لما لهذا العدول الخطابي من تطرية وإطراب لأسماع المتقين فضلاً على اطمئنانهم للوعد المقدس بدخولهم الجنان، أما اللوحة الأخرى فكانت فعلية: انتقل فيها الخطاب من العموم (الذين آمنوا) أي عموم المؤمنين الى خطاب الغيبة وكأن الأمر الإلهي قد مضى بدخولهم الجنان.

الخاتمة

توصل البحث الى النتائج الاتية:

http://abu.edu.iq

١- تشكل الخطاب المقدّس في سورة الطور في اسلوبين من اساليب الخطاب الأوّل خطاب تركيبي (إنشائي، خبري) تجسد في خطاب المكذّبين والخطاب الآخر أحادي (إخباري) تبين في خطاب المتقين.

٢- قسمت سورة الطور الى ست لوحات خطابية مقدّسة أربع لوحات لخطاب (المكذّبين) والى اثنتين في خطاب المتقين وتضمن خطاب المكذبين في لوحته الأولى مشهدين من مشاهد الخطاب المشهد الأوّل (إنشائي– قسمي) والمشهد الآخر: خبري (جواب القسم) واللوحة الثانية مشهدها الأوّل إخباري أما اللوحة الثالثة فكانت (طلبية) والرابعة جسّدها الخطاب الإنشائي (الشرطي).

وقد جمع خطاب (المكذّبين) بين لوحتين مركبتين ولوحتين أحاديتين إنشائيتين.

٣- اتصف الخطاب الإنشائي (المركب) بمزية الثقل الرزين تفاعلاً مع ثقل كذب المكذّبين بالوعد الإلهي لهم ولعل ما أكدّ ذلك تكرار التأكيد المقدس في اللوحة القسمية الأولى من قوله تعالى:﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾.

٤- تجسّد خطاب المتقين في لوحتين مقدّستين إخباريتين اللوحة الأولى: خطابها أسميا موجباً بثبات الوعد الإلهي لهم بحسن الثواب وقربه.

أمّا اللوحة الأخرى فجسّدها الأداء الفعلي المقدّس وكأن الجزاء الإلهي قد مضى وتم تنفيذه على وفق لغة إخبارية قطعية وبهذا يكون تصديق المتقين بالوعد الإلهي أدعى لخطابهم بالخطب الأحادي (الخبري) لخفّة الخطاب ولخفّة جوانحهم بالفرح الغامر لنفوسهم بعل تحقق حسن الجزاء الإلهي لهم.

٥- انتقل الخطاب المقدّس في اللوحة الأولى من خطاب العموم (المتقين) أي عموم المتقين إلى خطاب تفاوت بين الغياب في مفردات (فاكهين، أتاهم، وقاهم) وخطاب الحاضر في مفردات: ((كلوا، إشربوا، تعملون...)) وقد دلّ ذلك التفاوت الخطابي على إستبطاء (المتقين) قرب أو بعد تنفيذ الجزاء الإلهي الموعود لهم.

٦- تجسّد خطاب المتقين في اللوحة الثانية وفق خطاب إنتقالي من العموم في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ أي عموم المؤمنين إلى خطاب الغائب في مفردات: ((أتبعتهم، ذريتهم، بهم، ألتناهم))، وذاك الاستواء الأحادي في خطاب الغيبة يوحي بنفاذ الأمر الإلهي ومضيه في تنفيذ وعد المتقين.

٧- تميز خطاب المتقين (الإخباري – الأحادي) بمزية الخفة وسرعة التنفيذ لخفّة جوانحهم بالفرح وهم يرفلون بالإحسان الإلهي.

المصادر والمراجع

١. القران الكريم.
٢. الأصوات اللغوية: د.إبراهيم أنيس، نشر: مكتبة الانجلو المصرية (٢٠٠٧م).
٣. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،نشر وطبع:المكتبة العصرية – بيروت – لبنان (د.ط) (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).
٤. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة ((الأفعال الكلامية في التراث اللساني: د.مسعود صحراوي، نشر وطبع: دار الطليعة – بيروت – لبنان، ط١ (٢٠٠٥م).

http://abu.edu.iq

٥. الشفاء: ابن سينا تصدير ومراجعة: د.إبراهيم مدكور، ح.ت: د.محمد سليم سالم، ط: المطبعة الأميرية القاهرة (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤ م).
٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان، ط٢ (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد لكريم بن الأثير (٦٣٧هـ) دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان، ط١(١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
٨. خصائص الأسلوب في الشوقيات: د. محمد عبد الهادي الطرابلسي، نشر: الجامعة التونسية (د.ط) (١٩٨١م).
٩. دراسة الصوت اللغوي: د.احمد مختار عمر، طبع ونشر: عالم الكتب – القاهرة، ط٤ (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).
١٠. دلائل الإعجاز:أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، نشر: مطبعة المدني – القاهرة، ط٣ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
١١. شرح المفصّل: موفق الدين بن علي بن يعيش النحّوي (ت ٦٤٣هـ) حققه وشرح شواهده: احمد السيّد احمد، راجعه ووضح فهارسه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، نشر وطبع: المكتبة التوفيقية – لقاهرة– مصر(د.ط) (د.ت).
١٢. في ظلال القران: سيد قطب، طبع:دار الشرق –القاهرة– مصر، الطبعة الشرعية السابعة والثلاثون (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
١٣. كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ.) تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت – لبنان، ط١(د.ت).
١٤. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر): أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٨٢هـ)، تح: علي محمد البجّاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر وطبع: المكتبة العصرّية - بيروت – لبنان، ط١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
١٥. كشاف اصطلاحات الفنون: محمد عليّ بن عليّ التهانوي الحنفي (١١٥٨هـ) وضع حواشيه:احمد حسن بسج طبع نشر: دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان ط٢ (١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م).
١٦. لسان العرب:للإمام العلامة أبن منظور (ت ٧١١هـ)، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه:علي شيري، نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان، ط١(١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
١٧. مجمع البيان في تفسير القران: أمين الإسلام أبي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) طبع ونشر: دار القارئ ودار الكتاب العربي، ط١ (١٤٣٠ -٢٠٠٩م).
١٨. معاني الأبنية في العربية: د.فاضل صالح السامرّائي نشر: جامعة بغداد، ط١ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
١٩. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، نشر: مؤسسة الصادق – طهران – إيران، ط١ (١٣٧٨هـ).

http://abu.edu.iq

٢٠. مفتاح العلوم:أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)،حققه وقدّم له وفهرسه: د.عبد الحميد هنداوي منشورات دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ط١(١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، ت.ح: د.حامد احمد الطاهر، طبع ونشر: دار الفجر للتراث – القاهرة، ط١ (١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م).

http://abu.edu.iq